قلت : فبراهين موسى عليه السلام . قال : وما هي ؟ قلت : ألقى العصا فإذا هي حيَّة تسعى تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، وبياض يده من غير سوء ، قال : هذا أصعب ، ولكن هاتِ ما هو ألين من هذا!!

قلت : فبراهين عيسى عليه السلام . قال : وما براهينه ؟ قلت : إحياء الموتى ، فقطع الكلام في براهين عيسى وقال : جئت بالطامَّة الكبرى ، دعني من براهين هذا ، قلت : فلابدَّ من براهين ، قال : ما معي من هذا شيء ، وقد قلت لجبريل : إنَّكم توجِّهونني إلى شياطين ، فأعطوني حُجَّة أذهب بها وإلا لم أذهب ، فغضب جبريل عليه السلام عليَّ ، وقال : جئت بالشر من ساعة ، اذهب أولاً فانظر ما يقول لك القوم!!

فضحك المأمون وقال : هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة![1] .

* * *

إصلاح القلوب :

اهتمَّ رسول الله ﷺ بإصلاح القلوب ، وبيَّن أن الإنسان لا يصلح إلا إذا صلح القلب ، لذلك جاء في الحديث الشريف ـ كما روى البخاري ومسلم ـ :

« ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

ثم ركَّز العلماء على الكشف عن أمراض القلب ، ومحاولة إصلاحه ،

---

(١) من مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي : ٣/ ٤٣٨ .

فهذا الإمام السيوطي رحمه الله يقول : وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها فقال الغزالي : إنها فرض عين .

لذلك نقرأ في كتاب الله تعالى الكثير من الآيات التي تتحدث عن ذلك :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

والفقهاء قديماً وحديثاً يركِّزون على تصفية القلب من كل شائبة ، فهذا صاحب كتاب مراقي الفلاح العلامة الشرنبلالي يقول : لا تنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة بالإخلاص ، والنَّزاهة من الغِلِّ والحقد والحسد ، وتطهير القلب عمّا سوى الله من الكونين ، فيعبده لذاته لا لعلَّة ، مفتقراً إليه ، وهو يتفضَّل بالمنِّ لقضاء حوائجه المضطر بها عطفاً عليه ، فتكون عبداً فرداً للمالك ، الأحد الفرد ، لا يسترِقُّك شيء من الأشياء سواه ، ولا يستميلك هواك عن خدمتك إياه ، قال الحسن البصري رحمه الله :

رُبَّ مستورٍ سبته شهوته ... قد عرى من ستره وانتهكا

صاحب الشهوة عبدٌ فإذا ... ملك الشهوة أضحى مَلِكا

فإذا أخلص لله ، وبما كلَّفه به وارتضاه ، قام فأدَّاه ، حفَّته العناية حيث ما توجَّه وتيمَّم ، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

* * *